

الفصل العاشر

الدولة البابلية الجديدة

العصر البابلي الحديث

انتهت كيان الدولة الآشورية السياسي بسقوط نينوى وهزيمة الجيش الآشوري وحليفه المصري امام القوات البابلية - الميدية المتحالفة في موقعة كركميش في سوريا كما ذكرنا. وكان الزعيم الكلداني نبو بلا صر قد نصب نفسه ملكا على بلاد بابل عام ٦٢٦ ق.م واسس سلالة جديدة حكمت بلاد بابل وسيطرت على معظم البلدان والاقاليم التي كانت تابعة للدولة الآشورية لمدة تناهز القرن وعرفت في المصادر التاريخية باسم الدولة البابلية الحديثة او الدولة الكلدانية (نسمة الى قبيلة «كلدو» او «كشدو»، التي ينتسب اليها نبو بلا صر. وهي احدى القبائل الارامية التي استقرت في القسم الجنوبي من بلاد بابل في المنطقة التي تعرف ببلاد البحر وكان لها مع الملوك الآشوريين منذ عهد تجلات بيلزور - الثالث تاريخ طويل حيث كانت تشير الاوضطربات والقلاقل دوماً بهدف السيطرة على بلاد بابل الى ان تم لها ذلك في نهاية عهد آشور بانيبال.

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي حكمت فيها الدولة البابلية الحديثة الا ان عهدها كان يحقق من العهود المجيدة في تاريخ العراق القديم من الناحيتين السياسية والحضارية . فمن الناحية السياسية . ورثت الدولة البابلية الامبراطورية الآشورية الواسعة وعملت على تثبيت سلطانها. عليها باستثناء بعض المناطق التالية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية . ونجحت في ذلك نجاحا كبيرا ، اما من الناحية الحضارية . فقد وصلت بلاد بابل . وبصورة خاصة مدينة بابل ، الى قمة مجدها وازدهارها الحضاري وغدت بابل اعظم مدن العالم القديم قاطبة وفاقت بسعتها وعظمتها وشهرتها المدن الآشورية نينوى وآشور وكلخو كما فاقت اثينا وروما وسواها. اضافه الى ذلك . تعتبر هذه الفترة من تاريخ العراق ذات اهمية

خاصة لكثره النصوص المسمارية التي خلفتها لنا والتي افادت كثيرا في دراسة التاريخ السياسي والحضارى بلاد بابل والاقاليم التابعة لها كما كان لهذه الفترة أهمية خاصة في دراسة التغيرات الجذرية التي حصلت في بلاد سوريا وفلسطين ولاسيما بعد ان قضى نبوخذنصر على مملكة يهوذا وسبى سكانها الى بلاد بابل .

واخيرا يعتبر العصر البابلي الحديث آخر العصور العراقية القديمة ذات الحكم الوطني حيث وقع العراق بعد ذلك تحت الحكم الاجنبي كولاية تابعة حتى تم الفتح العربي الاسلامي للعراق في القرن السابع الميلادي فعاد العراق ثانيا الى حكمه الوطني .

كان «نبو بلا صر» مؤسس الملة الكلذنية حاكماً باعتباره الاشرارية كما ذكرنا في بلاد بابل ثم استغل ضعف الدولة الآشورية وانشغلها بالاضطرابات الداخلية فنصب نفسه ملكاً على بلاد بابل عام ٦٢٦ق. م وشغل معظم حكمه بالاعداد للقضاء على الدولة الآشورية وتحالف ، كما مررتنا ، مع الملك الميدى كي اخسار وقبائل الاومانيندو الى ان تم له القضاء على الدولة الآشورية والاستيلاء على معظم الاقاليم التي كانت تابعة لها وتوفي عام ٦٠٥ق. م بعد ان حققت الجيوش البابلية انتصاراً حاسماً على فلول الجيش الآشوري والقوات المصرية التي تجمعت في مدينة كركميش في سوريا .

اعتنى العرش البابلي بعد ذلك ابنه وقائد جيشه في سوريا نبوخذنصر وقد فاقت شهرة نبوخذنصر شهرة أبيه وعد المؤسس الحقيقي للدولة البابلية الحديثة ودام حكمه أكثر من أربعين عاماً (٥٦٢ - ٦٠٤ق. م) حقق خلاله إنجازات عسكرية وسياسية و عمرانية رائعة وضعته في مصاف عظام القيادة والزعماء . فعلى الصعيد السياسي والعسكري تمكنت الدولة البابلية الفتية في عهده من بسط نفوذها على جميع أنحاء سوريا وفلسطين وفرضت الجزية على المدن والدوليات السورية مثل دمشق وصورة وصيدا وأورشليم وعسقلون ويهودا كما تمكنت من تثبيت سلطانها على بلاد بابل وآشور وكان الملك البابلي على درجة من القوة والتأثير بحيث

انه توسط عام ٥٨٥ ق . م . لعقد معاهدة صداقة بين مملكة ليديا والميدانيين وارسل قائده نبو نائيد للقيام بدور الوسيط .

ويشير هذا اولا الى حسن علاقته مع كلا الطرفين كما يشير الى سعة نفوذه وتأثيره عليهم .

غير ان سيطرة البابليين على الدوليات السورية والفلسطينية هددت التجارة المصرية مع الساحل السوري وقطعت عنها كثيرا من المواد الخام الضرورية . واستمراراً للسياسة المصرية في العهد الآشوري . بدأت مصر بتحريض الدوليات السورية ضد التفوذ البابلي وبدأت هذه المرة بملكية يهوذا التي سبق لها وان قدمت الطاعة والخضوع للسيادة البابلية . وعندما تمردت يهوذا وامتنعت عن دفع الجزية المقررة عليها حاصرها الجيش البابلي وفتح عاصمتها اورشليم عام ٥٩٧ ق . م ومات اثناء الحصار ماكها وسبى البابليون مايقرب من ثلاثة الاف من الصناع والحرفيين وافراد القوات المسلحة واخذوا اسرى الى بلاد بابل وكان من بينهم ابن الملك اليهودي المسمى يهوياكين الذي ورد اسمه في احد النصوص المسماوية البابلية الخاصة بتوزيع الارزاق (١) ويسمى هنا الاسر عادة بالسيبي البابلي الاول . وبعد انسحاب الجيش البابلي عادت مصر ثانية ان التحرير ضد التمرد ضد الحكم البابلي وحققت بعض النجاحات وسيطرت على غزة واضطربت الحاميات العسكرية البابلية في اورشليم وغيرها من المدن الى الانسحاب وفتحت صور وصیدا . واذاء هذا الخطر الذي هدد كيان الدولة البابلية في سوريا . جهزت حملة عسكرية كبيرة الى بلاد فلسطين للقضاء على التفوذ المصرى وعلى الدوليات والمدن المتمردة وقد نبوخذ نصر نفسه بهذه الحملة فانسحبت القوات المصرية من ساحة المعركة وتركت المدن المتمردة تلقى مصيرها المحظوم وحاصر البابليون مدينة اورشليم

(١) انظر Saggs, The Greatness That Was Babylon (1962) P. 144

لمدة ثمانية عشر شهراً وفتحت عام ٥٨٦ ق. م بعد أن عممت فيها المجاعة وخل فيها الوباء ودمرت المدينة وسلبت قصورها وقتل زعماء التمرد وعين أحد النلام الموالين حاكماً على المدينة وسبى البابليون هذه المرة أعداداً كبيرة من اليهود يقدر عددهم بحوالي أربعين ألف اخروا إلى بلاد بابل وظلوا هناك حتى نهاية عهد الدولة البابلية ، وقد عرف هذا السبي بالسيي البابلي الثاني . كما قام الجيش البابلي بمعاقبة المدن التمردة الأخرى وأعاد فتحها إلا مدينة صور المحصنة التي دام حصارها ثلاثة عشر سنة حتى سقطت عام ٥٧١ ق. م ومع سيطرة البابليين الكاملة على بلاد سوريا وفلسطين إلا أن مصر ظلت تحاول إثارة القلاقل والاضطراب فيها بغية تقليل النفوذ البابلي .

ويبدو أن البابليين شعروا أثناء مكوئهم في سوريا باهمية الطرق التجارية القادمة من شبه الجزيرة العربية واهمية القائل العربية القاطنة في أعلى شبه الجزيرة بالنسبة للسيطرة على المنطقة فبدأوا بتوجيه عدد من الحملات العسكرية على بادية الشام اخضعوا خلالها بعض المناطق التي استقرت فيها القبائل العربية البدوية .

وافت نشاطات نبوخذنر العبرانية أعماله العسكرية شهرة حيث أنه أعاد بناء مدينة بابل العظيمة وحصنتها تحصيناً قوياً وشيد فيها القصور والمعابد واقام الجنائن المعلقة فغدت بابل قبلة الشرق القديم وأعظم مدينة عرفها التاريخ القديم إضافة إلى أعماله العبرانية الأخرى في المدن البابلية المختلفة .

خلفاء نبوخذنر

خلف نبوخذنر ثلاثة من الملوك الذين لم يتمكنوا من السيطرة على حدود الإمبراطورية الواسعة التي وضع أساسها فكان عهدهم عهداً ضعيفاً واضمحلالاً اضطربت فيه الأحوال الداخلية وقامت التمردات ، وقتل ابن نبوخذنر في ثورة داخلية بعد حكم قصير لم يستمر أكثر من ستين ، وربما قتل أيضاً خليفته على العرش البابلي ، وهو صهر نبوخذنر . وفي عهد لباشي -